العلماء ورثة الأنبياء

(منهجية ثلاثة من كبار علماء العصر)

شعر/ محمد الصادق مغلس

(ذوالقعدة ١٤٢٠هـ/ فبراير ٢٠٠٠م)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.. أما بعد:

فإن هذه القصيدة التي أنشأها الأخ الشيخ/ محمد الصادق ذكرتنا آلاماً تَدْمَى لها القلوب،وذلك بما عرضته من الحديث عن العلماء الأعلام الذين فقدتهم الأمة في عام واحد حتى كادت الساحة أن تخلومن أعلام الهدى، وفي القصيدة نصائح جديرة بالاستفادة منها والعضّ عليها.

نسأل الله تعالى أن يقيض لهذه الأمة من يعيدها إلى رحاب الإسلام من جديد، وأن يوفق عامة المسلمين إلى العودة الصادقة إلى دينه، إنه حميد مجيد، والحمد لله رب العالمين.

- الدكتور / عبد الوهاب الديلمي وزير العدل السابق.
- الشيخ / محمد الغيلي مدير عام مدارس القرآن بالمعاهد.
- الدكتور / عبد اللطيف هائل الأستاذ بجامعة صنعاء.
- الشيخ / عبد الله القهالي رئيس دائرة إعلام الإصلاح بالعاصمة.
- الشيخ / عبد الله صعتر عضو الهيئة العليا للإصلاح.
- الشيخ / سعد حنتوس مدير دار القرآن بصنعاء.
- الشيخ / محمد الآنسي الداعية المعروف.
- الدكتور / صالح الوعيل الأستاذ بجامعة صنعاء.
- الدكتور / حيدر الصافح الأستاذ بالمعهد العالي للإرشاد.
- الشيخ / عبد العزيز الزبيري الداعية المعروف.
- الشيخ / حمود شمار مدير دار القرآن بأرحب.

إلَهي ما رضيتَ فقد رضينا
وإنْ دمْعُ العيون جرَى سَخِينا
وإنْ بَكَتِ القلوبُ على التَوالي
هُداةً بالكتاب ومُهتدينا
رجالَ العلمِ أربَابَ المعَالي
وأعلاماً بِحَقٍّ عاملينا
رجالاً للنُّبوَّة وَارِثينا
على سَنَنِ الوِراثَةِ سائرينا
كأنَّ نبيَّنا قد عاشَ فينا
بعُمْرِ الوَارِثينَ لهُ قُرونا
وإذْ رَحَلَتْ بهم رُسُلُ المَنَايَا
فَنَخْشَى الإرْثَ يَتْبَعُهم دَفِينا
وإنّ اللهَ يَقْبِضُ أيَّ عِلْمٍ
إذا يَقْضِي بِقَبْضِ العَالِمينا
وليس العلْمُ فَلسفَةً مَقالاً
ولا لَقَبَ العليمِ ولا الظُّنونا

ولكنَّ العلومَ نُصـــوصُ وَحْيٍ
ومـا اجتـهـدَ العُـدولُ الوارِثُونا
وهُم في الذكْـرِ مَـرْجِعُ كُلِّ فِكْرٍ
لِصَـوْنِ الدّينِ دينِ المُسلِمـينا
تَصَـوَّرْ في المَصيرِ فَتىً جَهُـولاً
يَقُـودُ بِنا القِطارَ أوِ السَّـفِـينا
وهَبْ في الطّبّ مَن يسعَى فُضُولاً
بِلا عِلْمٍ وقـد ثَقَبَ العُـيُـونا
فكم يَفْـشُـو بذلكَ مِن فَسـادٍ
وغَـمْطٍ لِلتَّخَـصُّصِ كَيْ يَهُـونا
ومـا شَـرْعُ الُهـدَى كَلَأٌ مُـبَـاحٌ
فَـيَـعْـبَثَ في حِـمَـاهُ العابِثُونا
مَـعـاذَ اللهِ بَلْ وِرْدٌ مُـتَـاحٌ
لِمَـنْ وَرَدَ المـوَارِدَ والـفُـنُـونـا
وبِالتّـقْـوَى عَـدَالَتُـهُ لِزَامـاً
وإلاَّ كـانَ كـالمُسْـتَـشْـرِقِـينا

وتَضْـيـعُ العَـدَالَة نَبْـذُ هَدْيٍ
تَعَـهَّـدَهُ الرسـولُ فَـصَـارَ دِينا
أَيعـبَثُ بالُهـدَى قـومٌ تبَـارَوا
وصـارُوا لِلْعُـدَاةِ مُـقَلِّدِينا؟
ضلالاتُ التَّعَصْرُنِ ضَيَّعَتْهُم
فـهُم في جـهْلِهم مُـتَـعَـالِمونا
بِسَـمْتٍ مُنْكَرٍ لَم تَلْقَ فَـرْقـاً
إذا شـاهدتَ سَـمْتَ المُنْكرينا
أَرائِكُ في الأرائِكِ جـالِسُـونا
وكـالأطفـالِ دَومـاً هَازِلُونا
ويُولُونَ السَّـفَـاسِفَ كُلَّ جُـهْـدٍ
وإِنْ ذُكِـرَ الجِـهـادُ فَـغَـافِلُونا
ومَنْ هُمْ في الوَرَى أَشْـبَـاهُ قَـوْمٍ
فَـهُم مِنهُم وإِنْ حَلَفُـوا يَمِـيْنا
وقـد نَطَقَ النبيُّ به صَـريحـاً
وأفْلَحَ مَن به يَتَـشَـبَّـهُـونا

أَيَزْعُمُ مُنْخُلٌ ما اعْتَادَ صَوْناً
بِكَوْنِ الماءِ دَاخِلَهُ مَصُونا؟!
ويَفْخَرُ حَنْظَلٌ شَكْلاً ولَوْناً
بِكَوْنِ الشَّهْدِ يَسْكُنُهُ مَكِيْنا؟!
وكَمْ مِنْ مَظْهَرٍ ظَرْفٌ لِفكْرٍ
ولَوْ مَارَى بِذَاكَ المُمْتَرُونا
وأَقْلاَمُ التَّعَصْرُنِ مَحْضُ بُوقٍ
لِتَشْوِيهِ الُهدَاةِ الوَارِثِينا
ولَيْسُوا عَارِفِيْنَ لَهم بِحَقٍّ
إذا مَرُّوا بِهِم يَتَغَامَزُونا
وأَقْمَارُ الهِدايةِ في وَقَارٍ
ولَوْ دَوَّى صَرِيرُ المُعْصِرِينا
وفي عامٍ كَعَامِ الحُزْنِ وَلَّى
رِجَالاَتٌ ثِقَاتٌ شَامِخُونا
سَلامُ اللهِ يا ابْنَ البَازِ حَيّاً
وفي المَثْوَى ويومَ المُنْشَرِينا

تُذكِّرُنا دُمُوعُكَ حينَ تَهْمي
وقَلْبٌ حَاطَ كلَّ المُؤْمِنينا
ومِليُونٌ بِيَومِكَ يومَ صَلَّوا
وعِلْمٌ ضَاءَ دَرْبَ السَّالِكِينا
بِقَامَاتٍ مِن السَّادَاتِ وَلَّوْا
ونرجوسبْقَكُم فيهم وفينا
وعَرِّجْ في الحديثِ على إِمامٍ
فتَى الأَلْبَانِ ما شَهِدَ القَرِينا
وكمْ سُنَنٍ به الرحمنُ أَحْيَا
ولَوْلمْ يُبْتَدَرْنَ لَمَا حَيِيْنَا
وصارَ الناسُ حقّاً مُمْسكينا
بِقَائمةِ الصحيحِ ومُكْتَفِينا
ومَن لِلناسِ خَلَّفَ نَفْعَ عِلْمٍ
فَقَدْ أَبْقَى لَهم عَيْناً مَعِينا
فَحَيَّا اللهُ رُوحَكَ مِن فَقِيدٍ
وَأَعْلَى ذِكْرَكُم في الغَابِرِينا

وأبْكَى الهِنْدَ أبْكَاهَا إمَامٌ
وقَدْ صَلَّتْ وصَلَّى المُسلِمُونا
مَضَى عَنَّا أبُوحَسَنٍ فَأَفْضَى
وكانَ الفَضْلَ والخُلُقَ المَتِينا
وكانَ الجُهْدَ في الذِّكْرَى وذكْرٍ
ونِعْمَ السَّبْقُ سَبْقُ الذاكِرِينا
وكانَ الزُّهْدَ ذلك مَا عَلِمْنا
وكانَ الفِكْرَ والقَلَمَ الرَّصِينا
لهُ السِّحْرُ الحَلالُ ولاَ يُبَارَى
بأَقْطَابِ اللُّغَاتِ الأَلْسَنِيْنا
بِأَرْبَعِهَا أَفَاضَ ورُبَّ فَذٍّ
مِن الأَعْلامِ فَاقَ الأَعْلَمِينا
ورَغْمَ الغَوصِ في الغَربِيِّ منها
فَلَم يَغْرَقْ كَشَأْنِ الأَكْثَرِينا
ولم تَمْسَخْ لدَى النَّدْوِيِّ أَصْلاً
ولاَ شَكْلا ولاَ فَقَدَ الحَنِينا

يُذَكِّرُ بالصَّحابَةِ كَيفَ خَاضُوا
بلا بَلَلٍ بِدُنْيَا الغَارِقِينا
ولمْ يَنْصَبْ أَئِمَّتُنا لعَيشٍ
ولا اكْتَسَبُوا المَرَافِقَ والشُّئُونا
أمَا عاشَ الرسولُ علَى كَفَافٍ
وكانَ بمَسْكَنٍ إِذْ كانَ طِينا؟
وخَيَّرَ نِسْوَةً زَوْجَاتِ صِدْقٍ
فَآثَرْنَ البَسَاطَةَ مَا بَقِينا
ولَوشَاءَ الرسولُ لَعَاشَ فَرْداً
فَرِيداً في المُلُوكِ النَّاعِمِينا
ولَكِنْ سَنَّ لِلتَّغْيِيْرِ نَهْجاً
هُوَ الأَهْدَى وجَرَّبْنا قُرُونا
ولَيْسَ يُحَرِّمُ الزِّينَاتِ لَكِنْ
بِهذا العَزْمِ أَمَّ المُؤمِنينا
ومَن طَلَبَ الإِمَامَةَ دُونَ هَدْيٍ
كَهَذَا الهَدْيِ حَتْماً لَنْ تَكُونا

أَقِيمُوا دَولَةَ الإِسلامِ فِيكم
تَقُمْ في أَرْضِكم حِصْناً حَصِينا
وفي السُّودانِ دَرْسٌ أيُّ دَرْسٍ
بِهَذا العَصْرِ لِلمُسْتَعْصِرِينا
ومَا التَّجْدِيدُ فِيمَا يَنْشُدُونا
سِوَى تَرْوِيجِ مَا يَسْتَوردُونا
ومَن يَكُ بِالهُدَى فِيهم غَرِيباً
فَطُوبَى هَا هُنَا لِلمُغْرِبِينا
وتَجْدِيدُ الهُدَى عَوْدٌ لِبَدْءٍ
لِمَنْهَاجِ الصِّحَابِ السَّابِقِينا
بِهِ تُرْجَى النَّجَاةُ ولاَ انْقِطَاعٌ
لِطائِفَةِ النَّجاةِ الظاهِرِينا
أَئِمَّتُنا ثَلاثَتُهم مِثَالٌ
ولاَ يَرضَونَ بِدْعًا أومُجُونا
ورَبَّوا لِلخِلافَةِ جِيلَ صِدْقٍ
بِأَقطارِ البَسِيطةِ جاهِزِينا

وبالمنهاجِ صارَ لهم إطارٌ
إذا استرخَى إطارُ المُعْصرينا
وهُم يَسعَونَ في فُسْطاط دينٍ
إذا اسْتَسْعَى النِّفَاقُ الآخَرينا
ومَنهجُهم شُمُولٌ واعتدالٌ
ويَحْمُونَ العقيدةَ جَاهدِينا
وسَبْقٌ للجماعةِ في صلاةٍ
وفي الأَسحارِ كانوا ساجِدينا
وكالتصويرِ ما فيه اشْتِبَاهٌ
تَحَاشَوا فِعْلَهُ مُتَورِّعينا
ولَيسوا عِصمةً مِن كُلِّ عَيْبٍ
وخَيرُ الهَدْيِ هَدْيُ المُرسَلينا
وما ارتاضُوا مع السُّفَرَاءِ حيناً
ولا ارتاضُوا مع الحُكّامِ حِينا
ولن يَعْيَا المُخَلِّطُ لوأرادُوا
بِأَنْ يَحيَا بِتَخْلِيطٍ مَكِينا

ومثل الغير يزعم كل خير
ويجمع مثله رغداً وطينا
ولن ترضى اليهود ولا النصارى
ولا الأذيال إلا المفسدينا
ومن صحب الولاة بلا اعتزاز
ولا لاقى من الذكرى معينا
فقد ألقى يديه بلا احتراز
وأردى نفسه في الهالكينا
وقد صدق الرسول فمن أتاهم
إلى أبوابهم لقي الفتونا
وكم من قادة في الدين فروا
بعيداً عن بلاط الحاكمينا
برغم الفقه والتقوى وقرن
أناخ ببعضهم في التابعينا
فلا البصري والثوري أخذى
ولا النعمان أوشك أن يلينا

ويَزْهَدُ مَـالِكٌ فِـيـهم ويُؤْذَى
ويَقْـفُـوالشـافـعِيُّ الأَوَّلينا
ويَصْمُدُ أَحْـمَـدٌ كالطَّود صَمْداً
ولوأَرْضَى الوُلاةَ أَضَـاعَ دِينا
أَصِحَّاءُ السِّياسَةِ كُلُّ حِصْنٍ
بَنَى بالشَّرْعِ مَوْقِعَهُ الحَصِينا
فَأَرْسَى الشَّرْعَ لا يَخْشَى مَلَامًا
ولم يَلْحَقْ بِرَكْبِ المُدْهِنِينا
بذَنْ يَخْتارُ يُوسُفَ في التَّأَسِّي
ودَفْعِ الجَوْرِ جَوْرِ القَاسِطِينا
وخَيرُ الناسِ أَفْضَلُهم جِهَاداً
بِنَصْرِ الحَقِّ عند الجائِرِينا
وبَيْنَ اللِّينِ والإِدْهَانِ فَرْقٌ
يُضَاهِي الخَيْزُرَانَةَ والدُّهُونا
رَوَى النَّدْوِيُّ ما نَقَلَ السِّبَاعِي
عن البَنَّاءِ بَعْدَ الأَرْبَعِينا

بتأخير السياسة والتصدي
لمأساة التنافس أنْ تكونا
رَوَاهُ لشرقنا في ذكريات
لهُ إذْ ساحَ لا كالسائحينا (١)
كَمَا أَهْدَى إلى(الإخوان) بحثاً
وسَمَّاهُ التحدُّثَ للأخينا (٢)
وحَدَّ به السياسةَ عند حَدٍّ
لإنصاف الفروضِ الآخرينا
ونالَ بمكْتبِ الإرشاد فَهْماً
وتَعْميماً وتَقْديماً رَصينا
وما خَوضُ السياسةِ في فَريقٍ
غَريقٍ في الخَطَايَا كَاذِبينا
سِوَى مُسْتَنْقَعٍ مَن خاضَ فيه
تَلَطَّخَ مِثْلَ باقي الخائضينا

---

(١) **انظر** : « مذكرات سائح في الشرق العربي » للندوي .
(٢) **انظر** :« أريد أن أتحدث إلى الإخوان » للندوي بتقديم الهضيبي .

وأَسْلَمَـةُ السـيـاسـةِ وَفْقَ شَـرْعٍ
بِتَـربِيَـةِ الفـريقِ السـائِسـينا
وتَنْقِـيَـةِ الطريقِ بِكُلِّ وُسْعٍ
وتَنْحِـيَـةِ الرفـيقِ المُدْهِنينا
هوالإِسـلامُ سـاسَـتُـهُ نُجُـومٌ
وكـالبِلَّوْرِ ليـسـوا مُـدْخِنينا
وقـد أَرْسَى أَئِمَّـتَنا امْـتِنَاعـاً
عن التَّلْفـازِ عَمَّ المُخْـبِـتِـينا
وكـانَ لهم مع الصُّحُف اكْتِـفَاءٌ
وأَقْـرَبُ للتُّـقَى مَن يَكْتَـفُـونا
وفي التلفـازِ مُـوسـيـقَى ونُكْرٌ
وأَخْـبَـارٌ وبِئْسَ المُخْـبِـرُونا
أَأَخْـبـارٌ وفي الأَطبَـاقِ عُـهْـرٌ
وتَشْـرِيْهَا فَـتَـشْـرِي مِنكَ دِينا؟!
وتَفْـتِنُكَ النِّسَـاءُ أَضَـرَّ فَـتْـنٍ
كَـمَـا في قَـوْلِ خَـيْـرِ المُرسَلِينا

فَتُدْمِنُ ما يُكَفِّنُ كُلَّ خَيرٍ
ويُمْكِنُ أَنْ تَكونَ لهُ دَفِينا
وتَبْهَرُكَ البَهارِجُ زَائِفَاتٍ
وقد تُزْرِي حَيَاةَ المُؤمِنِينا
وكم مِن أَشْعَثٍ وَرِعٍ وَبَرٍّ
به يُسْقَى العِبادُ ويُنصَرُونا
وفي القرآنِ مَوعِظَةٌ وعَتْبٌ
عن الأَعمَى وحَقْرِ الأَرْذَلِينا
وكُلُّ تَنَازُلٍ خَطْبٌ جليلٌ
وإِنْ زَعَمُوا لِحِفْظِ الدِّينِ فِينا
وهلْ في نَقْصِهم للدِّينِ حِفْظٌ
وهلْ يَبْنِي الكَمالَ النَّاقِصُونا؟!
لَقدْ عاشَ الصحابةُ في ارتقَاءٍ
وعاشَ الدِّينُ مُكْتَمِلاً مَصُونا
ولَوْ نَقَصُوا لأَنْقَصَ مَن يَليهم
فَمَاذا اليومَ كُنَّا مُدْرِكِينا؟!

ومَن لِلناسِ يَجْـهَـد كَيْ يكُونوا
مَنَارَات فَـأَحْـرَى أَنْ يَكُونا
وحِـفْظُ الدِّينِ مِن رَبٍّ حَـفِـيظٍ
أَعَـدَّ لَهُ كِـرَامـاً حـافِظِينا
وإِدْمَـانُ الصـغـائرِ قـد يُؤَدِّي
لأَبواب الكبـائرِ أَجـمـعِـينا
ومَن وَرَدَ الكبـائرَ كـان أَحْـرَى
بأَنْ يَسْـتَـدْبِرَ الفـتْحَ المُبِـينا
ويَخـشَى فِـتنَةً شَـعْـوَاءَ تَغْـشَى
جـمـيعَ شُـئـونِهِ دُنْيَـا ودِينا
وكلُّ تَسـاهُلٍ مَـرَضٌ وَبِيلٌ
وإِنْ قـالوا نَسُـوسُ الآخَـرِينا
فَـيَـمْـرَضُ مَن يَسُوسُ بِمَـا تَرَدَّى
ويَمْـرَضُ بَعْـدَهُ مَن يَتْـبَـعُـونا
ويَذْبُلُ دِينُهم شـيـئـاً فَـشَـيْـئـاً
ولا نامَتْ عـيـونُ المُدْهِنِينا

وقَبْضُ الجَمْرِ فِعْلاً ليسَ سَهْلاً
وبالإدْهَانِ كُلٌّ قَابِضُونا
وليس النصرُ يُطْلَبُ بانْهِزَامٍ
ولا الإنْقَاذُ مِمَّنْ يَغْرَقُونا
وكم مِن طالبٍ صَيْداً سَميناً
وقد يَغْدُوهوالصَّيدَ السَّمِينا
وليس بِعاجزٍ مَن عاشَ حُرّاً
ولَكِنْ مَن يَزُفُّ العاجِزِينا
ويَعْجَزُ أَنْ يَفُوزَ بِأَهْلِ سَبْقٍ
ويَحْسَبُ نَفْسَهُ فِيهم سَجِينا
وما الفَوزُ المُبارَكُ بالتَّمَادي
ولَكِنْ بِازْدِيَادِ الزَّاهِدِينا
ولا التِّكْتِيكُ في نَشْرِ التِّعَادي
ولَكِنْ بِابْتِعَادِ الأَبْعَدِينا
وتقْوَى اللهِ تَفْتَحُ خَيرَ بَابٍ
لِخَيرِ سِيَاسَةٍ دُنْيَا ودِينا

وما تُغْنِي عن الأَسْبابِ لَكِنْ
تُمَثِّلُ قِمَّةَ الأَسْبابِ فِينا
يرَى النَّدْوِيُّ أَنَّ النُّصْحَ رُوحٌ
كَرُوحِ الحَيِّ يُحْيِي السائِرِينا (١)
يَكُونُ بِحِكْمَةٍ ولِكُلِّ صَفٍّ
وإِلاَّ لا تَثِقْ بِالصَّفِّ دِينا
وما وَصْفِي الأَئِمَّةَ كَيْ أُزَكِّي
ولَكِنْ ما نَظُنُّ وما لَقِينا
بَنَيْتُ لهم مِن الأَبْيَاتِ بَيْتاً
لِيَسْكُنَ نَهْجُهم فِينا مَكِينا
لَعَلَّ اللهَ يَهْدِي الحائِرِينا
ويُدْخِلُنا غَداً في الصالِحِينا
ويَكْفِينا عَدَاوَةَ كُلِّ عَادٍ
ويُؤْوِينا قُلُوبَ المُؤمِنِينا

(١) انظر « المقابلة مع الندوي في مجلة : الأمة القطرية » .